أسلوب التشبيه في تفسير ابن عاشور
سورة النور أنموذجًا

The use of simile in Ibn Ashour's interpretation of Surat Al-Noor as a model

إعداد

نسيبه عبدالعزيز الحربي

Nosibah Abdulaziz Alharbi

Doi: 10.21608/jasis.2025.405827

استلام البحث	**١٢ / ١٢ / ٢٠٢٤**
قبول البحث	**٢٩ / ١٢ / ٢٠٢٤**

الحربي، نسيبه عبدالعزيز (٢٠٢٥). أسلوب التشبيه في تفسير ابن عاشور - سورة النور أنموذجاً. ***المجلة العربية للدراسات الاسلامية والشرعية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، ٩(٣١)، ٤٢١- ٤٤٦.

http://jasis.journals.ekb.eg

أسلوب التشبيه في تفسير ابن عاشور - سورة النور أنموذجاً

المستخلص:

جاء هذا البحث بعنوان "أسلوب التشبيه في تفسير ابن عاشور، سورة النور أنموذجًا". ويهدف إلى التعريف بالإمام ابن عاشور، وبكتابه التحرير والتنوير، ومعرفة أثر أسلوب التشبيه على معنى الآية. وقد قسمت البحث إلى فصلين، عرّفت في الفصل الأول بالمفسر ابن عاشور من حيث اسمه ونسبه ومولده ونشأته وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته وثناء العلماء عليه ووفاته. ثم تحدثت عن كتابه التحرير والتنوير ومنهجه فيه. وعرّفت في الفصل الثاني بسورة النور التي هي لبّ البحث وذكرت فضلها، كما عرّفت بأسلوب التشبيه وذكرت أمثلة عليه من سورة النور، ثم بينت أثر هذا الأسلوب على معنى الآية، وختمت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي خرجت بها، ومن أبرزها:

١ -اعتناء ابن عاشور بالبلاغة والأساليب البيانية عناية واضحة وظهور أثر ذلك في تفسيره.

٢ -أسلوب التشبيه يعد من بلاغة القرآن.

وقد خلصت إلى مجموعة من التوصيات من أهمها: الاهتمام بتفسير الطاهر ابن عاشور والتبحر فيه والإستفادة منه في الدراسات البلاغية.

ABSTRACT:

This Research was entitled " The Method of Analogy in the Interpretation of Ibn Ashur, Surat Al-Nur as an Example". It aims to introduce Imam Ibn Ashour, and his book Tahrir and Tanweer, and to know the impact of the style of the analogy on the meaning of the verse. I divided the research into two chapters. In the first chapter, I introduced the interpreter Ibn Ashur in terms of his name, lineage, birth, upbringing , elders, pupils, and writings, the scholars praised him and his death. She then talked about his book Tahrir and Tanweer and his approach to it. In the second chapter, she defined Surat Al-Nur, which is the core of the research and mentioned its virtue. She also defined the analogy method and mentioned examples of it from Surat Al-Nur. She then explained the impact of this method on the meaning of the verse, The concluded research with a conclusion

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

that included the most important results she came up with, the most prominent of which are:
1. Ibn Ashur 's care for rhetoric and graphic methods is clear and the effect of this appears in his interpretation.
2. The style of simile is considered one of the rhetoric of the Qur 'an.
It came up with a set of recommendations, the most important of which are: Paying attention to the interpretation of Taher Ibn Ashour, navigating it, and benefiting from it in rhetorical studies.

المقدمة

الحمد لله المنعوت بجميل الصفات، وصلى الله على سيدنا محمد أشرف الكائنات، المبعوث بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله، وعلى آله وصحبه الذين نصبوا أنفسهم للدفاع عن الدين، حتى رفع الله بهم منارته، وأعلى كلمته، وجعله دينه المرضي، وطريقه المستقيم.

وبعد:

إن لعلم التفسير أهمية بالغة، فهو متعلق تعلق تام بأشرف الكتب السماوية وأعظمها، ومفسّر لأعظم وأجلّ كلام وهو كلام الله سبحانه تعالى.

يقول الإمام الطبري - رحمه الله - وهو يبين أهمية التفسير: (اعلموا عباد الله - رحمكم الله - أن أحق ما صُرِفت إلى علمه العناية، وبلِّغت في معرفته الغاية، ما كان لله في العلم به رضا، وللعالم إلى سبيل الرشاد هدى، وأن أجمع ذلك لباغي كتاب الله، الذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مرية فيه، الفائز بجزيل الذخر وسنيّ الأجر تاليه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد). [1]

ومن العلوم التي لها صلة قوية بتفسير القرآن الكريم، علم البلاغة، وتحديداً علم البيان، ولما للبلاغة القرآنية من مكانة عظيمة فقد منّ الله علي بأن كُلّفت بدراسة أسلوب من أساليبها البيانية.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث فيما يلي:

١- كونه مرتبط بأفضل العلوم وهو القرآن الكريم.

٢- إبراز جانب البلاغة القرآنية عند الطاهر ابن عاشور.

---

[1] جامع البيان، للطبري (١/ ١٥).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

٣- إثراء المكتبة بالبحوث الإسلامية.

مشكلة البحث:

سيجيب البحث عن الأسئلة التالية:

١- ما هو أسلوب التشبيه؟

٢- ما هي الأمثلة التي حوت أسلوب التشبيه في سورة النور؟

٣- كيف أثّر أسلوب التشبيه على معنى الآية؟

أهداف البحث:

وتكمن أهداف البحث في الآتي:

١- التعريف بأسلوب مهم من أساليب البلاغة، وهو التشبيه.

٢- معرفة أثر أسلوب التشبيه على معنى الآية.

منهج البحث:

اتبعت في دراسة هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وتشمل أهم مفرداته:

١- كتبت الآيات وفق الرسم العثماني، وعزوت في الحاشية اسم السورة ورقم الآية.

١- خرجت الأحاديث تخريجاً علمياً موجزاً، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما فإني أكتفي به، وإن كان في الكتب الستة فأكتفي بها، وإن لم يوجد فإني أعزو الحديث إلى مصدره من كتب الحديث، مع بيان حكم أهل العلم عليه.

٢- عرفت بالأعلام تعريفاً موجزاً من المصادر الأصلية، عدا الصحابة لشهرتهم، وكانت الترجمة أن ابتدئ باسم العلم ثم وفاته ثم أشهر مؤلفاته -إن وجدت-.

٤- الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها.

٥- وضعت قائمة في نهاية البحث بالمصادر والمراجع التي استفدت منها في كتابة هذا البحث، وقائمة مرجع للآيات التي ذكرت والأحاديث والأعلام -إن وجد-.

حدود البحث:

تناولت أسلوب واحد من الأساليب البيانية، وهو أسلوب التشبيه، واقتصرت من التفاسير على تفسير ابن عاشور، واقتصرت في استخراج الأمثلة على سورة النور.

الدراسات السابقة:

ومن الدراسات السابقة التي وقفت عليها:

- مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير، دراسة دكتوراه مقدمة لكلية اللغة العربية، بجامعة أم القرى، في مكة المكرمة، للباحث شعيب بن أحمد الغزالي، ٢٠٠٤م.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

تناول الباحث في تمهيد هذا البحث سيرة الطاهر ابن عاشور وكتابه، ثم قسّمه إلى ثلاثة أبواب متعمقاَ في التشبيه وأنواعه في كتاب التحرير والتنوير.
والفرق بين بحثي وبحثه هو أني اقتصرت على التشبيه التمثيلي، وأيضًا اقتصرت على سورة النور.

خطة البحث:

سيتضمن البحث مقدمة وفصلين ثم الخاتمة والفهرس كالتالي:
المقدمة: وتحتوي على أهمية البحث ومشكلة البحث وأهدافه ومنهجه وحدوده، والدراسات السابقة.

الفصل الأول: التعريف بالمفسّر ابن عاشور وكتابه التحرير والتنوير، وفيه مبحثان:
المبحث الأول: نبذة عن المفسّر ابن عاشور، وفيه أربع مطالب:
المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده ونشأته.
المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه.
المطلب الثالث: مؤلفاته وثناء العلماء عليه.
المطلب الرابع: وفاته.
المبحث الثاني: التعريف بكتابه التحرير والتنوير، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: نبذه موجزه عن الكتاب.
المطلب الثاني: منهج المفسر في الكتاب.

الفصل الثاني: التعريف بسورة النور وبأسلوب التشبيه فيها، وفيه مبحثان:
المبحث الأول: بين يدي سورة النور، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: التعريف بالسورة.
المطلب الثاني: فضل السورة.
المبحث الثاني: أسلوب التشبيه في سورة النور، وفيه ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: التعريف بأسلوب التشبيه.
المطلب الثاني: أمثلة لأسلوب التشبيه عند ابن عاشور من سورة النور .
المطلب الثالث: بيان الأسلوب وأثره على معنى الآية.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج والتوصيات

الفهارس: وتشتمل على فهرس الآيات، وفهرس الأحاديث، وفهرس الأعلام، والمصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

المبحث الأول: نبذة عن المفسّر ابن عاشور:

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده ونشأته.

اسمه ونسبه ومولده:

هو محمد الطاهر بن عاشور[٢] ، الشهير بالطاهر بن عاشور، ولد بتونس عام (١٢٩٦ه = ١٨٧٩م) في أسرة علمية عريقة تمتد أصولها إلى بلاد الأندلس، وقد استقرت هذه الأسرة في تونس بعد حملات التنصير ومحاكم التفتيش التي تعرض لها مسلمو الأندلس[٣].

البيئة التي نشأ فيها الطاهر بن عاشور كانت تتمتع بإمكانات ثقافية عالية خصوصا فيما يتعلق بأصول الدين وفروعه، والفقه ومذاهبه، واللغة والأدب والبلاغة والتاريخ والفلسفة وغير ذلك من العلوم[٤].

وقد نبغ من هذه الأسرة عدد من العلماء الذين تعلموا بجامع الزيتونة[٥]، تلك المؤسسة العلمية الدينية العريقة التي كانت منارة للعلم والهداية في الشمال الأفريقي، كان منهم محمد الطاهر بن عاشور، وابنه الذي مات في حياته: محمد الفاضل بن عاشور[٦].

كان الطاهر بن عاشور عالما مصلحا مجددا، لا يستطيع الباحث في شخصيته وعلمه أن يقف على جانب واحد فقط، إلا أن القضية الجامعة في حياته وعلمه

---

[٢] الأعلام، للزركلي (١٧٤/٦)

[٣] مقدمة كتاب التحرير والتنوير، لابن عاشور (٠/١)

[٤] منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير، لنبيل أحمد صقر (١٠)

[٥] تعد جامعة الزيتونة أعرق فضاء تعليمي في العالم الإسلامي بالمعنى المؤسسي الشامل، استطاع أن يحافظ على استمراريته، وينسب تأسيس الجامع إلى حسان بن النعمان الغساني فاتح تونس وقرطاج في حدود سنة ٧٩هـ (٦٩٨-٦٩٩م) وهناك من ذهب إلى أن تأسيسه تم في عهد عبد الله بن الحبحاب، كما تم توسيع الجامع في عهد زيادة بن الأغلب، وهذه الاختلافات التاريخية متعلقة بتحديد أزمنة التطورات التوسيعية التي شهدها الجامع في عهوده الأولى، ولهذا الجامع تجربة تعليمية ثرية عريقة، ومحاولات الإصلاح التربوية والتعليمية للمؤسسة متكررة ومتعددة.

= انظر: الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير "المعاني والبديع" للطالبة: رانية جهاد الشوبكي، رسالة ماجستير، جامعة غزة.

[٦] هو محمد الفاضل بن محمد الطاهر ابن عاشور، أديب خطيب، مشارك في علوم الدين، من طلائع النهضة الحديثة النابهين، ولد وتوفي في تونس، عاش في حياة أبيه مسترشدا بتوجيهه ومعتمدا على مكتبته الحافلة بالنفائس.

= انظر: الأعلام، للزركلي (٣٢٥/٦-٣٢٦)

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ومؤلفاته هي التجديد والإصلاح من خلال الإسلام وليس بعيدا عنه، ومن ثم جاءت آراؤه وكتاباته ثورة على التقليد والجمود وثورة على التسيب والضياع الفكري والحضاري، فهو يعد من كبار مفسري القرآن الكريم في العصر الحديث[٧].

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه.

شيوخه:

لا شك أن الإمام ابن عاشور رحمه الله، كان حريصًا على تحصيل العلم والمعرفة، سماعاً وقراءة على من تأهل في ذلك، وبرز في فنه، واشتد عوده في ميدانه، ومن شيوخه الأفاضل الذين كان لهم الفضل بعد الله في اكتساب علمه:

- الشيخ عبد القادر التميمي، فقد تخرج على يده، في تجويد القرآن، وعلم القراءات.
- الشيخ محمد النخلي، درس عليه من كتب علوم الوسائل «القطر» و «المكودي على الخلاصة» و «مقدمة الإعراب» في النحو و «مختصر السعد» في البلاغة و «التهذيب» في المنطق.

وتخرج به في أصول الفقه بدراسة الحطاب على «الورقات»، و «التنقيح» للقرافي، وفي الفقه المالكي بكتاب «ميارة على المرشد» و «كفاية الطلب على الرسالة»[٨].

والملاحظ أن لبعض شيوخه الكبار أثرا واضحا في تكوينه، وفي منهجه المعرفي.

وأخص بالذكر شيخين ذاع صيتهما في ذلك الزمن، وكان لهما وقع كبير في الأوساط العلمية في تونس.

أولهما: الشيخ سالم بو حاجب[٩] (ت ١٩٢٤ هـ) أحد المصلحين والمحققين الأذكياء.

فنظرا لنباهة هذا الشيخ، وعلو كعبه في العلم لازمه الشيخ ابن عاشور فقرأ «صحيح البخاري» بشرح القسطلاني، قراءة تحقيق بجامع الزيتونة، كما قرأ عليه على ذلك النمط أجزاء من «شرح الزرقاني على موطأ مالك».

ثانيهما: الشيخ محمد العزيز بوعتور[١٠] (ت ١٩٠٧ ه) الذي كانت له عناية خاصة بحفيده الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور فإضافة على قراءة الطالب على شيخه بعض

---

[٧] مقدمة كتاب التحرير والتنوير، لابن عاشور (٠/١)

[٨] ينظر: مقدمة كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ (٧)

[٩] سالم بن عمر بو حاجب النبيلي، ولد سنة: ١٢٤٣هـ وهو فاضل مالكي، من أهل تونس، تولى التدريس بجامع الزيتونة ثم الفتيا سنة ١٣٢٣هـ ثم عين كبيرا لأهل الشورى المالكية.، له (شرح على ألفية ابن عاصم) في الأصول، و (ديوان خطب) ورسائل، وتقريرات على البخاري، توفي سنة: ١٣٤٢هـ.

= الأعلام، للزركلي (٧١/٣).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

أمهات الكتب فإن الأستاذ دون له بخط يده مجموعا فريدا، جمع له به عيون الأدب، ونصوص الحكم وبدائع النظم والنثر[١١].

تلاميذه:

تتلمذ على يد الطاهر ابن عاشور الصغار والكبار، وانتفع بعلمه القاصي به والداني.

فمن أشهر وأهم تلامذته:

١- ابنه العلامة المحقق محمد الفاضل ابن عاشور[١٢].

٢- العلامة محمد الحبيب ابن الخوجة.

تلقى محمد الحبيب العلم على يد الشيخ الطاهر ولزمه وحضر دروسه، حتى الدروس التي كان يعقدها في بيته بعد صلاة التراويح من ليالي رمضان، وقد وصف هذه الملازمة بقوله: "عرفته عن قرب من ثلاثة عقود خلت، وكنت كثير التردد عليه والاستماع له، والتتبع لنشاطه والإفادة من خلقه الرضي وعلمه الواسع"[١٣].

وغيرهم من العلماء والباحثين الذين تعلموا على يد ابن عاشور العلوم العديدة النافعة والمختلفة.

المطلب الثالث: مؤلفاته وثناء العلماء عليه.

مؤلفاته:

تنوعت مصنفات الشيخ ابن عاشور، فشملت ضروباً من الثقافة الإسلامية، بل لعلها تناولت جميع جوانبها.

١- **التحرير والتنوير** وهو أشهر أعماله وأعظمها في تفسير القرآن -وهو موضع دراستي في هذا البحث-.

٢- **حاشية على تنقيح الفصول**، في علم أصول الفقه.

٣- **مقاصد الشريعة الإسلامية**، هذا الكتاب يعد فذا في بابه، وهو ما دعا كثيرا من الباحثين إلى التنويه بشأن الكتاب، وإبداء الإعجاب به.

---

[١٠] محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب ابن الوزير محمد بن محمد بو عتور الصفاقسي التونسي، ولد سنة: ١٢٤٠هـ في تونس، وهو وزير، من العلماء الكتاب، أصله من صفاقس، من بني الشيخ عبد الكافي العثماني (نسبة إلى عثمان بن عفان) توفي في تونس أيضًا سنة: ١٣٢٥هـ.

= الأعلام، للزركلي (٢٦٨/٦).

[١١] ينظر: مقدمة كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ (٨)

[١٢] سبق التعريف به، ص٧

[١٣] ينظر: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور -حياته وآثاره-، للدكتور: بلقاسم الغالي (٦٧)

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

٤- **أصول النظام الاجتماعي في الإسلام،** أيضًا هذا الكتاب حظي باهتمام الدارسين والباحثين وأولوه عناية خاصة.
٥- في الحديث، ألف حول «الموطأ» كتابه: **كشف المغطى**
٦- وحول «صحيح البخاري» واضح كتابه المسمى بـ **النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح،** أوضح فيه جملة من المسائل أشكلت على شراح البخاري، وتعرض لجملة من القضايا استعصت على كثير من العلماء.
٧- **ديوان النابغة الذبياني،** في علوم اللغة
٨- **الواضح في مشكلات شعر المتنبي، للأصفهاني**
وغيرها من الكتب في اللغة والأدب[١٤].

إذاً الطاهر ابن عاشور ألف في جميع الجوانب، وكل مصنف له يدل على سعة علمه وثقافته، وبراعته في التأليف.

ثناء العلماء عليه.

مما يدل على سعة علم الطاهر ابن عاشور فقد أثنى عليه كثير من العلماء، ومن ذلك ثناء شيخ الأزهر العلامة المحقق قرنه في الدراسة **محمد الخضر حسين**[١٥] فقد قال فيه: "وللأستاذ فصاحة منطق، وبراعة بيان، ويضيف إلى غزارة العلم، وقوة النظر، صفاء الذوق، وسعة الاطلاع في آداب اللغة ... وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه، وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم".

وقال فيه أيضًا العلامة المصلح الشيخ **محمد البشير الإبراهيمي**[١٦]: "علم من الأعلام الذي يعدهم التاريخ الحاضر من ذخائره، فهو إمام متبحر في العلوم الإسلامية، مستقل في الاستدلال، واسع الثراء من كنوزها، فسيح الذرع بتحملها، نافذ البصيرة في معقولها، وافر الاطلاع على المنقول منها، أقرأ وأفاد، وتخرجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي".

المطلب الرابع: وفاته.

---

[١٤] ينظر: مقدمة كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، لابن عاشور (١٠-١١)

[١٥] محمد الخضر حسين، الأديب والصحفي والمؤرخ التونسي، ولد بسيدي بوسعيد من ضاحية تونس الشمالية عام ١٣١٨ هـ - ١٩٠١ م. وتوفي عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.
= كتاب موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (١٦/١٤/٢)

[١٦] هو محمد البشير بن محمد السعدي بن عمر بن محمد السعدي بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي، ولد في الجزائر سنة: ١٣٠٦هـ من أعلام الفكر والأدب في العالم العربي، ومن العلماء العاملين في الجزائر، توفي سنة ١٣٨٥هـ.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وقد توفي الطاهر بن عاشور في (١٣ رجب ١٣٩٣ هـ = ١٢ أغسطس ١٩٧٣م) بعد حياة حافلة بالعلم والإصلاح والتجديد على مستوى تونس والعالم الإسلامي[١٧].

المبحث الثاني: التعريف بكتاب التحرير والتنوير:

المطلب الأول: نبذة موجزه عن الكتاب.

اسم الكتاب: هو تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، واختصاره التحرير والتنوير.

أُلِّف سنة: ١٣٤٠ه – ١٣٨٠ه. وقد عكف على تأليفه مدة أربعين عاماً، وهذا يدل على أنه عالم كبير متفنن.

الكتاب له طبعتان: طبعة على هيئة أجزاء متفرقة نشرتها الدار التونسية للنشر، وطبعة في خمس مجلدات، وطبعة قديمة سنة ١٣٨٤هـ بمطبعة عيسى البابي الحلبي، ويقول محقق الكتاب: "لم أقف منها على غير الجزء الأول فقط".

جاء هذا التفسير في ثلاثين جزءًا، في خمسة عشر مجلداً[١٨].

وتفسير التحرير والتنوير في حقيقته تفسير بلاغي، اهتم فيه بدقائق البلاغة في كل آية من آياته، وأورد فيه بعض الحقائق العلمية ولكن باعتدال ودون توسع أو إغراق في تفريعاتها ومسائلها[١٩].

وقد شمل تفسيره معظم التفاسير التي سبقته، وقد ذكر في تمهيده أهمها في نظره، وكأنها مراجعه الأساسية التي اعتمدها في تفسيره[٢٠].

المطلب الثاني: منهج المفسر فيه.

وصف ابن عاشور رحمه الله تفسيره بأنه «احتوى أحسن ما في التفاسير، وأن فيه أحسن مما في التفاسير»[٢١] **وبين أيضًا في مقدمته منهجه بإجمال، ويمكن حصر ذلك بما يلي:**

١- بدأ تفسيره بمقدمات عشر؛ لتكون عونًا للباحث في التفسير.

٢ - اهتم ببيان وجوه الإعجاز ، ونكت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال.

٣- اهتم ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض.

٤- لم يغادر سورة إلا وبين أغراضها، وما تشتمل عليها بإجمال.

---

[١٧] التحرير والتنوير، لابن عاشور (٠/١)

[١٨] التحرير والتنوير، لابن عاشور (٠/١)

[١٩] المرجع السابق.

[٢٠] ينظر: مقدمة المصنف، كتاب التحرير والتنوير، لابن عاشور (٧/١)

[٢١] المرجع السابق.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

٥- اهتم بتحليل الألفاظ وتبيين معاني المفردات بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة.
٦ - عُني باستنباط الفوائد، وربطها بحياة المسلمين.
٧- حرص على استلهام العبر من القرآن؛ لتكون سبباً في النهوض بالأمة.
فهذا مجمل منهجه الذي بينه، وسار عليه[٢٢].

المبحث الأول: بين يدي سورة النور:

المطلب الأول: التعريف بالسورة.

معنى النور في كتاب مفردات ألفاظ القرآن: هو الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار، وذلك ضربان دنيويّ، وأخرويّ[٢٣].
وسميت هذه السورة «سورة النور»، ووجه تسميتها بذلك؛ لكثرة ذكر النور فيها (ستّ مرات)[٢٤]، وأيضًا قيل أن سبب تسميتها بالنور، هو أن فيها آية "الله نور السماوات والأرض"، وهي من أهم آيات هذه السورة.

وقد تطرقت في بحثي هذا الى تفسير هذه الآية العظيمة، وبيان أسلوب التشبيه فيها وتوضيح ابن عاشور لذلك.

وتسميتها في المصاحف وكتب التفسير والسنة سورة النور، ولا يعرف لها اسم آخر.
وهي مدنية باتفاق أهل العلم ولا يعرف مخالف في ذلك[٢٥].

المطلب الثاني: فضل سورة النور.

من فضائل سورة النور أنها من المثاني، فقد قيل فيها:
عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: (أعطيت السبع الطوال مكان التوراة، وأعطيت المثاني مكان الإنجيل، وأعطيت المئين مكان الزبور وفضلت بالمفصل) [٢٦].
والمثاني هي: السور التي تكون آياتها أقل من مائة، كالنور وغيرها من السور[٢٧].

---

[٢٢] ينظر: التقريب لتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، لمحمد بن إبراهيم الحمد (٣٩).
[٢٣] للراغب الأصفهاني (٨٢٧)
[٢٤] الموسوعة القرآنية، خصائص السور (٧١/٦)
[٢٥] ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٣٩/١٨).
[٢٦] المعجم الكبير، للطبراني (٧٦/٢٢)، أخرجه أحمد في مسنده، باب حديث واثلة بن الأسقع (١٨٨/٢٨) ١٦٩٨٢.
= واثلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل بن ناشب الليثي، وقيل: ابن كعب بن عامر، توفي سنة خمس وثمانين، شهد غزوة تبوك، وكان من فقراء المسلمين.
ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي (٤١٠/٤).
[٢٧] المقدمات الأساسية في علوم القرآن، لعبد الله الجديع (١٤٥)

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

المبحث الثاني: أسلوب التشبيه في سورة النور:

المطلب الأول: التعريف بأسلوب التشبيه.

تعريف التشبيه لغة:

التمثيل، يقال: هذا شبه هذا ومثيله، وشبهت الشيء بالشيء أقمته مقامه لما بينهما من الصفة المشتركة[٢٨].

تعريف التشبيه اصطلاحًا:

صفة الشيء بما قاربه وشاكله، ومن جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه[٢٩].

أما التشبيه في نظر البلاغيين، فقد قال فيه قدامة بن جعفر أنه: «إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما، ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها»[٣٠].

أركان التشبيه:

تواضع البلاغيون على أن للتشبيه أربعة أركان وهي:

١- المشبه: وهو الأمر الذي يراد الحاقه بغيره

٢- المشبه به: وهو الأمر الذي يلحق به المشبه

٣- وجه الشبه: هو الوصف المشترك بين الطرفين، ويكون في المشبه به، أقوى منه في المشبه - وقد يذكر وجه الشبه في الكلام، وقد يحذف كما سيأتي توضيحه.

٤- أداة التشبيه: هي اللفظ الذي يدل على التشبيه، ويربط المشبه بالمشبه به، وقد تذكر الأداة في التشبيه، وقد تحذف[٣١].

أقسام التشبيه:

ينقسم التشبيه الى عدة اعتبارات وهي: طرفا التشبيه، ووجه الشبه، وأداة التشبيه، والغرض، وسأوضح كل اعتبار وأقسامه على حدة:

- **الاعتبار الأول: الطرفين، الطرفان هما "المشبه والمشبه به"، ويمكن تقسيمه على طريقتين:**

– التقسيم الأول:

١- أن يكون طرفاه حسيين أي: مدركين بإحدى الحواس الخمس.

٢- أن يكون طرفاه عقليين أي: مدركين بالعقل.

---

[٢٨] علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، للمراغي (٢١٣)

[٢٩] العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق القيرواني (٢٨٦/١)

[٣٠] كتاب نقد الشعر (٣٧)

[٣١] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، لأحمد الهاشمي (٢١٩)

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

٣- أن يكون المشبه عقليا والمشبه به حسيا.
٤- أن يكون المشبه حسيا والمشبه به عقليا.

- **التقسيم الثاني:**

١- أن يكون طرفاه مفردين.
٢- أن يكون طرفاه مركبين.
٣- أن يكون المشبه مفردا، والمشبه به مركبا.
٤- أن يكون المشبه مركبا، والمشبه به مفردا[٣٢].

- **الاعتبار الثاني: وجه الشبه، الوجه هو المعنى الذي اشترك الطرفان، ويمكن تقسيمه بهذا الإعتبار على أربعة أقسام:**

- **التقسيم الأول: ذهب عبد القاهر الجرجاني إلى أنه ينقسم الى:**

١- التشبيه الحقيقي الأصلي، فهذا يكون فيه وجه الشبه قائما فعلا في كلا الطرفين، كأن يكون مدركا بإحدى الحواس، أو هو أمر عقلي راجع إلى الفطرة.
٢- تشبيه التمثيل، فهذا لا يتحقق وجه الشبه فعلاً في كلا الطرفين، بل يوجد في أحدهما على الحقيقة، وفي الآخر على التأويل، وربما أطلق عليه اسم الشبه العقلي لأن التأويل من عمل العقل[٣٣].

- **التقسيم الثاني:**

١- التمثيل: ما كان وجه الشبه فيه هيئة مركبة من عدة أمور، حسيا كان هذا الوجه أو عقليا.
٢- وغير التمثيل: ما لم يكن الوجه فيه هيئة منتزعة من متعدد، بأن كان أمرا واحدا أو متعددا.

- **التقسيم الثالث:**

١- المفصل: ما صرح فيه بذكر وجه الشبه على طريقته.
٢- المجمل: ما لم يصرح فيه بذكر وجه الشبه على طريقته.

- **التقسيم الرابع:**

١- القريب المبتذل: ما ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به من غير تأمل، ونظر بسبب وضوح وجه الشبه فيهما.
٢- الغريب البعيد: هو ما لا ينتقل فيه الذهن من المشبه إلى المشبه به بعد إعمال فكر، ودقة نظر بسبب خفاء وجه الشبه فيهما[٣٤].

---

[٣٢] ينظر: المنهاج الواضح للبلاغة، لحامد عوني (٤٧/١-٥١).
[٣٣] علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، لمحمد أحمد قاسم (١٤٤)
[٣٤] المنهاج الواضح للبلاغة، لحامد عوني (٥٩/١-٧٠)

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

- **الاعتبار الثالث: الأداة، وينقسم التشبيه فيها الى مرسل ومؤكد:**

١- المرسل: ما ذكرت فيه الأداة لفظا، أو تقديرا.

٢- المؤكد: ما تركت فيه الأداة لفظا وتقديرا أي: ترك التصريح بها[٣٥].

- **الاعتبار الرابع: الأغراض، هي البواعث التي تحمل المتكلم على أن يعقد شبها بين شيئين:**

ينقسم التشبيه بهذا الاعتبار إلى قسمين: مقبول، ومردود:

١- المقبول: ما كان وافيا بالغرض الذي سيق لأجله التشبيه.

٢- المردود: ما لم يكن وافيا بالغرض المسوق له التشبيه[٣٦].

المطلب الثاني: أمثلة لأسلوب التشبيه عند ابن عاشور في سورة النور:

المثال الأول: قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٣٧]

قبل أن أشرع في ذكر تفسير ابن عاشور لهذه الآية، فإن أركان التشبيه في هذه الآية تتمثل في الآتي:

المشبه	**نور الله**
المشبه به	**مشكاة فيها مصباح**
أداة التشبيه	**مثل + الكاف**
وجه الشبه	**الظهور والإشراق**

"الله نور السماوات والأرض"

ذكر ابن عاشور في تفسير هذه الآية، أن الإخبار عن الله تعالى بأنه نور، إخبار بمعنى مجازي للنور لا محالة بقرينة أصل عقيدة الإسلام أن الله تعالى ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض لا يتردد في ذلك أحد من أصحاب اللسان العربي ولا تخلو حقيقة معنى النور عن كونه جوهرا أو عرضا[٣٨].

---

[٣٥] المنهاج الواضح للبلاغة، لحامد عوني (٧٦/١)

[٣٦] المنهاج الواضح للبلاغة، لحامد عوني (٨٥/١)

[٣٧] النور: آية: (٣٥)

[٣٨] ينظر: التحرير والتنوير (٢٣١/١٨).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

"مثل نوره" الضمير في قوله: نوره عائد إلى اسم الجلالة، أي مثل نور الله، والمراد بنوره، كتابه أو الدين الذي اختاره، أي مثله في إنارة عقول المهتدين[٣٩].

"كمشكاة فيها مصباح"

فالكلام تمثيل لهيئة إرشاد الله المؤمنين بهيئة المصباح الذي حفت به وسائل قوة الإشراق، فهو نور الله لا محالة.

وإنما أوثر تشبيهه بالمصباح الموصوف بما معه من الصفات، دون أن يشبّه نوره بطلوع الشمس بعد ظلمة الليل؛ لقصد إكمال مشابهة الهيئة المشبه بها، بأنها حالة ظهور نور يبدو في خلال ظلمة فتنقشع به تلك الظلمة في مساحة يراد تنويرها، ودون أن يشبّه بهيئة بزوغ القمر في خلال ظلمة الأفق؛ لقصد إكمال المشابهة لأن القمر يبدو ويغيب في بعض الليلة بخلاف المصباح الموصوف. وبعد هذا فلأن المقصود ذكر ما حف بالمصباح من الأدوات ليتسنى كمال التمثيل بقبوله تفريق التشبيهات كما سيأتي وذلك لا يتأتى في القمر[٤٠].

والمثل: تشبيه حال بحال، فمعنى مثل نوره:

شبيه هديه حال مشكاة.. إلى آخره، فلا حاجة إلى تقدير: كنور مشكاة، لأن المشبه به هو المشكاة وما يتبعها.

وقوله: كمشكاة[٤١] فيها مصباح المقصود كمصباح في مشكاة، وإنما قدم المشكاة في الذكر لأن المشبه به هو مجموع الهيئة، فاللفظ الدال على المشبه به، هو مجموع المركب المبتدئ بقوله: كمشكاة والمنتهي بقوله: ولو لم تمسسه نار فلذلك كان دخول كاف الشبه على كلمة مشكاة دون لفظ مصباح، لا يقتضي أصالة لفظ مشكاة في الهيئة المشبه بها دون لفظ مصباح، بل موجب هذا الترتيب مراعاة الترتيب الذهني في تصور هذه الهيئة المتخيلة حين يلمح الناظر إلى انبثاق النور ثم ينظر إلى مصدره فيرى مشكاة ثم يبدو له مصباح في زجاجة.

---

[٣٩] التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٣٤/١٨)

[٤٠] التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٣٤/١٨)

[٤١] المشكاة المعروف من كلام أهل اللغة أنها فرجة في الجدار مثل الكوة لكنها غير نافذة، فإن كانت نافذة فهي الكوة.
= المرجع السابق

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

"المصباح في زجاجة"

وإعادة لفظ المصباح دون أن يقال: فيها مصباح في زجاجة، كما قال: كمشكاة فيها مصباح إظهار في مقام الإضمار للتنويه بذكر المصباح لأنه أعظم أركان هذا التمثيل[٤٢].

"الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار"

وكذلك إعادة لفظ الزجاجة في قوله: الزجاجة كأنها كوكب دري[٤٣] لأنه من أعظم أركان التمثيل. ويسمى مثل هذه الإعادة، تشابه الأطراف في فن البديع، وإنما سلك طريق التشبيه في التعبير عن شدة صفاء الزجاجة لأنه أوجز لفظا وأبين وصفا، وهذا تشبيه مفرد في أثناء التمثيل ولا حظ له في التمثيل.

التقدير: يكاد يضيء في كل حال حتى في حالة لم تمسسه فيها نار.

وهذا تشبيه بالغ كمال الإفصاح، بحيث هو مع أنه تشبيه هيئة بهيئة هو أيضا مفرق التشبيهات لأجزاء المركب المشبه مع أجزاء المركب المشبه به، وذلك أقصى كمال التشبيه التمثيلي في صناعة البلاغة[٤٤].

"نور على نور"

ولما كان المقصود تشبيه الهيئة بالهيئة والمركب بالمركب، حسن دخول حرف التشبيه على بعض ما يدل على بعض المركب، ليكون قرينة على أن المراد التشبيه المركب، ولو كان المراد تشبيه الهدى فقط لقال: نوره كمصباح في مشكاة.. إلى آخره. فالنور هو معرفة الحق على ما هو عليه المكتسبة من وحي الله وهو القرآن. شُبّه بالمصباح المحفوف بكل ما يزيد نوره انتشارا وإشراقا.

وجملة: نور على نور مستأنفة، إشارة إلى أن المقصود من مجموع أجزاء المركب التمثيلي هنا، هو البلوغ إلى إيضاح أن الهيئة المشبه بها قد بلغت حد

---

[٤٢] التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٣٦/١٨).

(٤٣) يقال للمضيء دري؛ لأن الدر صافي البياض شددي البريق يضيء، ومن هذا قيل كوكب دري أي مضيء مشرق.

= معجم وتفسير لغوى لكلمات القرآن، لحسن عز الدين الجمل (١٠٠/٢).

(٤٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٤٢/١٨).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

المضاعفة لوسائل الإنارة، إذ تظاهرت فيها المشكاة والمصباح والزجاج الخالص والزيت الصافي، فالمصباح إذا كان في مشكاة كان شعاعه منحصرا فيها غير منتشر فكان أشد إضاءة لها مما لو كان في بيت، وإذا كان موضوعا في زجاجة صافية تضاعف نوره، وإذا كان زيته نقيا صافيا كان أشد إسراجا، فحصل تمثيل حال الدين أو الكتاب المنزل من الله في بيانه وسرعة فشوه في الناس بحال انبثاق نور المصباح وانتشاره فيما حف به من أسباب قوة شعاعه وانتشاره في الجهة المضاءة به.

فقوله: نور خبر مبتدأ محذوف دل عليه قوله: مثل نوره كمشكاة إلى آخره، أي هذا المذكور الذي مثّل به الحق هو نور على نور[٤٥].

وعلى للاستعلاء المجازي وهو التظاهر والتعاون.

والمعنى: أنه نور مكرر مضاعف، ويقول ابن عاشور وقد أشرت آنفا إلى أن هذا التمثيل قابل لتفريق التشبيه في جميع أجزاء ركني التمثيل بأن يكون كل جزء من أجزاء الهيئة المشبهة مشابها لجزء من الهيئة المشبه بها وذلك أعلى التمثيل.

فالمشكاة يشبهها ما في الإرشاد الإلهي من انضباط اليقين، وإحاطة الدلالة بالمدلولات دون تردد ولا انثلام[٤٦]. وحفظ المصباح من الانطفاء مع ما يحيط بالقرآن من حفظه من الله بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [٤٧].

"يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم"

ومعاني هداية إرشاد الإسلام تشبه المصباح في التبصير والإيضاح، وتبيين الحقائق من ذلك الإرشاد، وسلامته من أن يطرقه الشك واللبس يشبه الزجاجة في تجلية حال ما تحتوي عليه والوحي الذي أبلغ الله به حقائق الديانة من القرآن والسنة يشبه الشجرة المباركة التي تعطي ثمرة يستخرج منها دلائل الإرشاد، وسماحة الإسلام وانتفاء الحرج عنه يشبه توسط الشجرة بين طرفي الأفق فهو وسط بين الشدة المحرجة وبين اللين المفرط، ودوام ذلك الإرشاد وتجدده يشبه الإيقاد، وتعليم النبي ﷺ أمته ببيان القرآن وتشريع الأحكام يشبه الزيت الصافي الذي حصلت به البصيرة وهو مع ذلك بين قريب التناول يكاد لا يحتاج إلى إلحاح المعلم.[٤٨]

---

(٤٥) التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٤٣/١٨).

[٤٦] التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٤٣/١٨)

[٤٧] الحجر: آية (٩).

[٤٨] التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٤٤/١٨)

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمالُهُمْ كَسَرابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسابِ﴾[٤٩]

وقبل الشروع في تفسير ابن عاشور لهذه الآية وبيان نوع التشبيه فيها، فإن أركان التشبيه فيها تتمثل في الآتي:

المشبه	**أعمال الذين كفروا**
المشبه به	**السراب**
أداة التشبيه	**الكاف**
وجه الشبه	**ذهاب النفع وبطلانه**

ذكر الطاهر ابن عاشور رحمه الله في تفسير هذه الآية أن جملة **"والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة**[٥٠]**"** مستأنفة استئنافا ابتدائيا، والذين كفروا مبتدأ وخبره جملة: أعمالهم كسراب[٥١] إلخ.

وجعل المسند إليه ما يدل على ذوات الكافرين، ثم بني عليه مسند إليه آخر وهو أعمالهم، ولم يجعل المسند إليه أعمال الذين كفروا من أول وهلة؛ لما في الافتتاح بذكر الذين كفروا من التشويق إلى معرفة ما سيذكر من شؤونهم ليتقرر في النفس كمال التقرر، وليظهر أن للذين كفروا حظا في التمثيل بحيث لا يكون المشبّه أعمالهم خاصة[٥٢].

وفي الإتيان بالموصول وصلته إيماء إلى وجه بناء الخبر، وهو أنه من جزاء كفرهم بالله، على أنه قد يكون عنوان الذين كفروا قد غلب على المشركين من أهل مكة فيكون افتتاح الكلام بهذا الوصف إشارة إلى أنه إبطال لشيء اعتقده الذين كفروا.

فتشبيه الكافرين وأعمالهم **تشبيه تمثيلي**: شبهت حالة كدهم في الأعمال وحرصهم على الاستكثار منها مع ظنهم أنها تقربهم إلى رضى الله ثم تبين أنها لا تجديهم بل

---

[٤٩] النور: آية: (٣٩)

[٥٠] بقيعة: هي جمع قاع، كالجيرة جمع جار، والقاع: ما انبسط من الأرض واتسع، وفيه يكون السراب
= تفسير الطبري (٣٢٦/١٧)

[٥١] السراب: رطوبة كثيفة تصعد على الأرض ولا تعلو في الجو تنشأ من بين رطوبة الأرض وحرارة الجو في المناطق الحارة الرملية فيلوح من بعيد كأنه ماء.
= المعجم الوسيط.

[٥٢] ينظر: التحرير والتنوير (٢٥١/١٨)

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

يلقون العذاب في وقت ظنهم الفوز: شبه ذلك بحالة ظمئان يرى السراب فيحسبه ماء فيسعى إليه فإذا بلغ المسافة التي خال أنها موقع الماء لم يجد ماء ووجد هنالك غريما يأسره ويحاسبه على ما سلف من أعماله السيئة.

واعلم أن الحالة المشبهة مركبة من محسوس ومعقول والحالة المشبه بها حالة محسوسة، أي داخلة تحت إدراك الحواس.[٥٣]

وقوله: **"يحسبه الظمآن ماء"** يفيد وجه الشبه ويتضمن أحد أركان التمثيل، وهو الرجل العطشان وهو مشابه الكافر صاحب العمل.

"حتى إذا جاءه لم يجده شيئا"

أي إذا جاء الموضع الذي تخيل أنه إن وصل إليه يجد ماء، وإلا فإن السراب لا يزال يلوح له على بعد كلما تقدم السائر في سيره، فضرب ذلك مثلا لقرب زمن إفضاء الكافر إلى عمله وقت موته حين يرى مقعده أو في وقت الحشر.

"ووجد الله عنده"

هو من تمام التمثيل، أي لم يجد الماء ووجد في مظنة الماء الذي ينتفع به وجد من إن أخذ بناصيته لم يفلته، أي هو عند ظنه الفوز بمطلوبه فاجأه من يأخذه للعذاب، وهو معنى قوله: **"فوفاه حسابه"**

أي أعطاه جزاء كفره وافيا[٥٤].

واعلم أن هذا التمثل العجيب صالح لتفريق أجزائه في التشبيه بأن ينحل إلى تشبيهات واستعارات. فأعمال الكافرين شبيهة بالسراب في أن لها صورة الماء وليست بماء، والكافر يشبه الظمآن في الاحتياج إلى الانتفاع بعمله[٥٥].

المثال الثالث: ﴿أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراها وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [٥٦]

وأركان التشبيه في هذه الآية كالتالي:

---

[٥٣] التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٥١/١٨)
[٥٤] التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٥٤/١٨)
[٥٥] التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٥٥/١٨)
[٥٦] النور: آية: (٤٠)

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

المشبه	**أعمال الكفار**
المشبه به	**ظلمات البحر**
أداة التشبيه	**الكاف**
وجه الشبه	**بطلان العمل وذهابه**

ذكر ابن عاشور رحمه الله في تفسيره، أن شأن "أو" إذا جاءت في عطف التشبيهات، أن تدل على تخيير السامع أن يشبه بما قبلها وبما بعدها، فإذا كان الكلام هنا جاريًا على ذلك الشأن، كان المعنى تمثيل الذين كفروا في أعمالهم التي يظنون أنهم يتقربون بها إلى الله، بحال ظلمات ليل غشيت بأخرى في بحر شديد الموج، قد اقتحم ذلك البحر ليصل إلى غاية مطلوبة، فحالهم في أعمالهم تشبه حال سابح في ظلمات ليل في بحر عميق يغشاه موج يركب بعضه بعضا لشدة تعاقبه، وإنما يكون ذلك عند اشتداد الرياح حتى لا يكاد يرى يده التي هي أقرب شيء إليه وأوضحه في رؤيته فكيف يرجو النجاة[٥٧].

وإن كان الكلام جاريا على التخيير في التشبيه مع اختلاف وجه الشبه، كان المعنى تمثيل حال الذين كفروا في أعمالهم التي يعملونها وهم غير مؤمنين، بحال من ركب البحر يرجو بلوغ غاية فإذا هو في ظلمات لا يهتدي معها طريقا، فوجه الشبه هو ما حف بأعمالهم من ضلال الكفر الحائل دون حصول مبتغاهم[٥٨].

ويرجح هذا الوجه تذييل التمثيل بقوله: ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وهذا التمثيل من قبيل **تشبيه حالة معقولة بحالة محسوسة** كما يقال: شاهدت سواد الكفر في وجه فلان.

هذا التمثيل صالح لاعتبار التفريق في تشبيه أجزاء الهيئة المشبهة بأجزاء الهيئة المشبه بها فالضلالات تشبه الظلمات، والأعمال التي اقتحمها الكافر لقصد التقرب بها تشبه البحر، وما يخالط أعماله الحسنة من الأعمال الباطلة كالبحيرة، والسائبة يشبه الموج في تخليطه العمل الحسن وتخلله فيه وهو الموج الأول.

وما يرد على ذلك من أعمال الكفر كالذبح للأصنام يشبه الموج الغامر الآتي على جميع ذلك بالتخلل والإفساد وهو الموج الثاني، وما يحف اعتقاده من الحيرة في تمييز

---

[٥٧] ينظر: التحرير والتنوير (٢٥٤/١٨)

[٥٨] التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٥٥/١٨)

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الحسن من العبث ومن القبيح يشبه السحاب الذي يغشى ما بقي في السماء من بصيص أنوار النجوم، وتطلبه الانتفاع من عمله يشبه إخراجه يده لإصلاح أمر سفينته أو تناول ما يحتاجه فلا يرى يده بله الشيء الذي يريد تناوله[٥٩].

المطلب الثالث: بيان أسلوب التشبيه وأثره على معنى الآية:

في المثال الأول: قد يبدو للنظرة العجلى أن المشبّه وهو نور الله، أقوى من مصباح هذه المشكاة، ولكن إذا تأملت الآية الكريمة رأيتها قد مضت تصف ضوء هذا المصباح وتتأنق في وصفه، بما يصور لك قوته وصفاءه، فهذا المصباح له زجاجة تكسب ضوءه قوة، تجعله يتلألأ كأنه كوكب له بريق الدر ولمعانه، أما زيت هذا المصباح فمن شجرة مباركة قد أخذت من الشمس بأوفى نصيب، فصفا لذلك زيتها حتى ليكاد يضيء ولو لم تمسسه نار. ألا ترى أن هذا المصباح جدير أن يبدد ظلمة الليل، ومثله جدير أن يبدد ظلام الشك، ويمزق دجى الكفر والنفاق.

وقد ظهر بما ذكرناه جمال هذا التشبيه ودقته وبراعته[٦٠].

وفي المثال الثاني والثالث: فالآيتين مرتبطتين ببعضهما، ولقد شبه الله سبحانه وتعالى فيهما أعمال الكفار في بطلانها وذهابها سدى وتحسر عامليها، فمرة شبهها بالسراب ومرة شبهها بظلمات البحر.

والتشبيه في الآيتين يقرّب صورة المعنى بطريقة بديعة وواضحة، ويترك أثراً في نفس السامع.

أما التشبيه في المثال الثاني فهو تشبيه بليغ، وذلك ان وجه الشبه بين أعمال الكفار وبين السراب: أن هؤلاء الكفار يعملون الأعمال ويظنون أنها تنفعهم وكذلك العطشان، يعني أنه يقصد الماء بشدة ولهف معتقدا أنه ينقذه لأن العطشان محتاج للماء، إذا رأى ما يشبه الماء قصده بشدة ولهف، لأجل أن يدفع ضرورته به، لأنه يظنه

---

[٥٩] ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٥٧/١٨)

لجي: عميق واسع اللجة، وهو معظم الماء ووسطه وموضع العمق منه، وتكون الظلمة فيه أكثر.

= التيسير في التفسير، لأبو حفص النسفي (١٥٢/١١)

[٦٠] من بلاغة القرآن، لأحمد بدوي (١٥١)

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

ينفعه، ولولا أنه يظنه ينفع لم يذهب إليه، لكن النتيجة، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا، ماذا تتصور حاله حينئذ؛ خيبة أمل عظيمة لا يتصورها أحد[٦١].

والتشبيه في المثال الثالث: متعلق بسابقه فالظلمات التي شبه الله بها أعمال الكفار هي ظلمة البحر اللجي، ثم فوقه ظلمة الأمواج المتراكمة، ثم فوق ذلك، ظلمة السحب المدلهمة، ثم فوق ذلك ظلمة الليل البهيم، فاشتدت الظلمة جدا، بحيث أن الكائن في تلك الحال إذا أخرج يده لم يكد يراها، مع قربها إليه، فكيف بغيرها، كذلك الكفار، تراكمت على قلوبهم الظلمات، ظلمة الطبيعة، التي لا خير فيها، وفوقها ظلمة الكفر، وفوق ذلك، ظلمة الجهل، وفوق ذلك، ظلمة الأعمال الصادرة عما ذكر، فبقوا في الظلمة متحيرين، وفي طرق الغي والضلال يترددون، وهذا لأن الله تعالى خذلهم، فلم يعطهم من نوره[٦٢].

الخاتمة:

الحمد لله شكراً وامتناناً واعترافاً بعظيم كرمه الذي وفقني لإعداد هذا البحث المتواضع، واقتبس قول الزرقاني -رحمه الله-:"تلك محاولاتي وأهدافي فإذا كنت قد أصبتها فذلك الفضل من الله...وإن كانت الثانية فإنما هي نفسي وأستغفر الله، ورجائي من كل ناظر يطلع على عيب أن يدلني عليه ويرشدني إليه، فالدين النصيحة والمسلمين بخير ما تعاونوا، وما نجح سلفنا الصالح وكانوا خير أمة أخرجت للناس إلا بهذه الفضيلة" [٦٣].

وإن أبرز ما توصّلت إليه من نتائج بعد إتمام البحث فهي كالتالي:

١- اعتنى ابن عاشور بالبلاغة وبالأساليب البيانية عناية واضحة وظهر أثر ذلك في تفسيره.

٢- بين ابن عاشور رحمه الله أنواع التشبيهات في جميع الآيات القرآنية، ومنها الأمثلة التي ذكرتها.

٣- أن أسلوب التشبيه يعد من بلاغة القرآن.

---

[٦١] ينظر: تفسير سورة النور، لابن عثيمين (٢٧٤)

[٦٢] ينظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي (٥٦٩)

[٦٣] مناهل العرفان، للزرقاني (٦/١).

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

وأوصي كل من يقرأ هذا البحث بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام، والاهتمام بتفسير الطاهر ابن عاشور والتبحر فيه والاستفادة منه في الدراسات البلاغية.

ختاماً:

فإنني لا أدعي أنني قد أعطيت هذا الموضوع حقه، أو أوفيته ما يستحقه، ولكن حسبي أنني بذلت جهدي، هذا واسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت للصواب في هذا البحث اليسير المتواضع، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

المصادر والمراجع

الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر.

التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

تفسير القرآن الكريم «سورة النور»، محمد بن صالح العثيمين، (ت: ١٤٢١ه)، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ.

التقريب لتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، ٢٠٠٨ م ١٤٢٩هـ.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، (ت: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

التيسير في التفسير، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي (ت: ٥٣٧ هـ)، المحقق: ماهر أديب حبوش، وآخرون، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول – تركيا، الطبعة: الأولى، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، دار التربية والتراث - مكة المكرمة.

جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: ١٣٦٢هـ)، المكتبة العصرية، بيروت.

سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم الغالي، دار ابن حزم الطبعة: الأولى، ١٩٩٦.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

الطاهر ابن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير، للباحثة: رانية جهاد إسماعيل الشوبكي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية في غزة، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

علوم البلاغة (البيان المعاني البديع)، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١ هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٢ هـ- ٢٠٠٢ م.

علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»، الدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.

العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: ٤٦٣ هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، محمد الطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣ هـ)، المحقق: طه بن علي بوسريح التونسي، دار سحنون للنشر والتوزيع - دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة: الثانية، ١٤٢٨ هـ

مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية

المعجم الوسيط، نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة: الثانية.

معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن، حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ - ٢٠٠٨م.

المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413

المقدمات الأساسية في علوم القرآن، عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع العنزي، مركز البحوث الإسلامية ليدز – بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
من بلاغة القرآن، أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: ١٣٨٤هـ)، نهضه مصر – القاهرة، ٢٠٠٥م.
مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، (ت: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الثالثة.
المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، المكتبة الأزهرية للتراث.
منهج الإمام الطاهر بن عاشور في التفسير، نبيل أحمد صقر، الدار المصرية – القاهرة، الطبعة: الأولى.
موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، الإمام محمد الخضر حسين (ت: ١٣٧٧ هـ)، دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.
الموسوعة القرآنية، خصائص السور، جعفر شرف الدين، المحقق: عبد العزيز بن عثمان التويجزي، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٠ هـ.
نقد الشعر، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (ت: ٣٣٧هـ)، مطبعة الجوائب – قسطنطينية، الطبعة: الأولى، ١٣٠٢ه.

ISSN: 2537-0405 eISSN: 2537-0413